الطريقة الجشتية ٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة الإمام أبي حنيفة
النعمان بن ثابت الكوفيّ

رحمه الله تعالى (٨٠ – ١٥٠هـ)

ح دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخميس، محمد بن عبدالرحمن

عقيدة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي. - الرياض.

٦٨ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم

ردمك: X-٣٠-٨٠٠-٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية

٢- أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، ت ١٥٠هـ

أ - العنوان

ديوي ٢٥٨,١ ١٩/٠٤٨١

رقم الإيداع: ١٩/٠٤٨١

ردمك: X-٣٠-٨٠٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م



دار طيبة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق

ص.ب: ٧٦١٢ - رمز بريدي: ١١٤٧٢ - ت: ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

عقيدة الإمام أبي حنيفة

النعمان بن ثابت الكوفيِّ

رحمه الله تعالى (٨٠ – ١٥٠هـ)

تأليف

الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخُمَيِّس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

فهذه مقتطفات ونُقُولٌ من كلام الإمام أبي حنيفة رحمه

الله تعالى، توضح عقيدته في التوحيد والصفات والقدر، والإيمان، والصحابة، وموقفه من المتكلمين، ومن علم الكلام، إلى جانب ما يوضح نهيه عن بعض وسائل الشرك وتحذيره منها، وكذلك بعض صور الشرك الواقعة التي حذر منها هو وأتباعه.

وقد علقت على بعضها بما رأيته يتمم الفائدة، وجعلت لكل فصل خلاصة، أتبعتها بأسئلة للمناقشة لتحريك عقل القارئ وزيادة الفائدة، والله أسأل القبول والسداد وهو حسبي ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخُمَيِّس

المبحث الأول

عقيدة الإمام أبي حنيفة في التوحيد

أولاً: عقيدته في توحيد الله:

يستفاد من نصوص الكتاب والسنة الواردة في شأن التوحيد أنه ثلاثة أنواع:

١- توحيد الربوبية: أي اعتقاد أن الله تعالى، هو المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف في الكون والإقرار بذلك.

٢- توحيد الألوهية: أي اعتقاد أن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون غيره من المعبودات الباطلة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه، وعدم الإشراك معه فيها.

٣- توحيد الأسماء والصفات: أي تسمية الله تعالى ووصفه بما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء الحسنى والصفات العلى، مع اعتقاد دلالتها على كل معاني الكمال اللائقة

بالله، وإثبات حقيقة معانيها مع التقسيمات مثل قول الإمام أبي حنيفة: (لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين). وقوله: (لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه).

وقوله: (والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء).. إلخ ما ورد عنه من النصوص في هذا الباب، والتي سيأتي سياق الكثير منها. وفيها ردٌ على من جعل هذا التقسيم تقسيماً محدثًا، وأنه إنما أحدثه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ثانياً: وبيان التوسل الشرعي وإبطال التوسل البدعي:

إن مسألة التوسل مسألة خطيرة، وهي مما كثر فيه الابتداع والاختلاف عند الجهال وأهل الأهواء، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن من التوسل ما هو مشروع وما هو مبتدع ممنوع، فالمشروع من التوسل ثلاثة أنوع:

١- التوسل بأسماء الله وصفاته، لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ... ﴾. [الأعراف: ١٨٠].

٢- التوسل بالعمل الصالح والدعاء به، كما ورد في قصة أصحاب الغار الثلاثة.

٣- التوسل بدعاء الرجل الصالح، لفعل هؤلاء الذين كانوا يأتون النبي ﷺ، فيسألونه الدعاء لهم.

وما سوى ذلك من التوسل فإنه مبتدع ممنوع.

والإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: كان شديد الاحتياط في هذا الباب، حتى إنه كان يكره التوسل بالألفاظ التي تحتمل معاني سليمة ومعاني فاسدة، وكان ينهى عنها، ومن ذلك قوله: «وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك». إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه من نصوصه رحمه الله في الباب، بينما نرى أن كثيراً من الناس قد انحرفوا عن عقيدة الإمام أبي حنيفة فصاروا يأتون المبتدع والفاسد من أبواب التوسل، وينعتون من نهاهم عن ذلك وخالفهم بأنه لا يحب الأولياء والأنبياء؛ فالله المستعان.

التوسل بأسماء الله:

(١) قال أبو حنيفة رحمه الله، في شأن التوسل الشرعي الجائز، والنهي عن التوسل البدعي: (لا ينبغي لأحد أن يدعو

الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

[الأعراف: ١٨٠]

التوسل بألفاظ مستحدثة:

(٢) قال أبو حنيفة: يُكْرَه أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام)[2].

(٣) وقال أبو حنيفة: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك[3]، أو بحق

---

(١) الدر المختار مع حاشية رد المحتار (٦/ ٣٩٦، ٣٩٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٤، وإتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٨٥، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص ١٩٨.

(٣) كره الإمام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن أن يقول الرجل في دعائه: «اللهم إني أسألك بمعقد العزّ من عرشك» لعدم وجود النص في الإذن به، وأما أبو يوسف فقد جوّزه لوقوفه على نص من السُّنَّة، وفيه أن النبي ﷺ، كان من دعائه: «اللهم إني أسألك بمعاقد العزّ من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك».. وهذا الحديث أخرجه البيهقي في كتاب الدعوات الكبيرة، كما في البناية ٩/ ٣٨٢، ونصب الراية (٤/ ٢٧٢)، وفي إسناده ثلاثة أمور قادحة:

١- عدم سماع داود بن أبي عاصم لابن مسعود.

٢- عبد الملك بن جريج مدلس ويرسل.

=

خلقك)[1].

ثالثاً – قوله في إثبات الصفات والرد على الجهمية:

(٤) وقال: (لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنّة والجماعة[2] وهو يغضب ويرضى ولا يقال: غضبه عقوبته، ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه: أحدٌ صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، حيٌّ قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه، ووجهه ليس كوجوه خلقه)[3].

= ٣- عمر بن هارون متهم بالكذب من أجل ذلك قال ابن الجوزي كما في البناية (٩/ ٣٨٢): (هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده محبط كما ترى).

(١) انظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٩)، (٦/ ٤٠٥)، (٧/ ٥٠١).

(٢) نلاحظ أن الإمام رحمه الله، استعمل مصطلح أهل السنة والجماعة، وهذا دليل على أن هذا الاصطلاح كان معروفًا في العصور المتقدمة، لأن أبا حنيفة رحمه الله ولد سنة (٨٠هـ) وتوفي سنة (١٥٠هـ)، وذلك لأن أكثر فرق الضلال في مسائل أصول الدين قد ظهرت في أواخر عهد الصحابة وكثرت في عهد التابعين ومن بعدهم من السلف، من هنا ظهرت الحاجة للتمايز بين أتباع السنة المطهرة، وبين أهل الأهواء فظهرت تلك التسمية لتميز أهل السنة من أهل البدع. وكلمة أهل السنة تساوي كلمة أهل الحديث، وكلمة الطائفة المنصورة وكلمة الفرقة الناجية فكلها أسماء لمسمى واحد وهو من كان على عقيدة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

(٣) الفقه الأبسط ص ٥٦.

(٥) وقال: (وله يد ووجه ونفس، كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال)[١].

(٦) وقال: (لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئًا تبارك الله وتعالى رب العالمين)[٢].

(٧) ولما سئل عن النزول الإلهي قال: (ينزل بلا كيف)[٣].

(٨) وقال أبو حنيفة: (والله تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٢٧)، تحقيق، د. التركي، وجلاء العينين ص ٣٦٨.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٤٢، ط دار السلفية، الأسماء والصفات للبيهقي ص٤٥٦، وسكت عليه الكوثري، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٥، تخريج الألباني، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص٦٠.

شيء)[١].

(٩) وقال: (وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته، ورضاه ثوابه)[٢].

(١٠) وقال: (ولا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه، ولا يشبه من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته)[٣].

(١١) وقال: (وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا)[٤].

(١٢) وقال: (لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين)[٥].

(١٣) وقال: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر[٦]، وهذا كما ورد عن الإمام نعيم بن حماد رحمه

---

(١) الفقه الأبسط ص٥١.

(٢) الفقه الأبسط ص٥٦، وسكت عليه الكوثري.

(٣) الفقه الأكبر ص٣٠١.

(٤) الفقه الأكبر ٣٠٢.

(٥) الفقه الأبسط ص٥٦.

(٦) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني ص٢٥.

الله تعالى: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه فقد كفر..) وهذا هو قول السلف قاطبة.

(١٤) وقال: (وصفاته الذاتية والفعلية، أمَّا الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية: فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع، وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته)[١].

التعليق: هذه الصفات الذاتية والفعلية التي ذكرها الإمام أبو حنيفة إنما هي أمثلة وهي ليست محصورة فيها؛ فلا يفهم من عبارته هذه أن الإمام أبا حنيفة يعتقد أن صفات الله تعالى محصورة في السبع ونحوها.

(١٥) وقال: (ولم يزل فاعلاً بفعله والفعل صفة في الأزل)[٢]، والفاعل هو الله تعالى، والفعل صفة في الأزل، والمفعول مخلوق، وفعل الله تعالى غير مخلوق)[٣].

(١٦) وقال: (من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري:

---

(١) الفقه الأكبر ٣٠١.

(٢) الأزل: القِدَم بلا بداية.

(٣) الفقه الأكبر ص٣٠١.

العرشُ أفي السماء أم في الأرض)[1].

(١٧) وقال للمرأة التي سألته: أين إلهك الذي تعبده؟ قال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ...﴾ [الحديد: ٤] قال: هو كما تكتب للرجل إني معك وأنت غائب عنه)[2].

(١٨) وقال كذلك: (يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه)[3].

(١٩) وقال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ

---

(١) الفقه الأبسط ص ٤٦، ونقل نحو هذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٥/ ٤٨)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٩، والذهبي في العلو ص١٠١، ١٠٢، وابن قدامة في العلو ص١١٦، وابن أبي العزّ في شرح الطحاوية ص ٣٠١. ويلاحظ من هذا النص أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله، قد كفّر من لم ير إثبات صفة العلو بكل أنواعها لله تعالى، من علو الذات والشأن والقهر، فكيف بهذا الزمان الذي كثر فيه القائلون، بانه تعالى في كل مكان، أو بانه تعالى ليس له جهة، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ... إلخ هذا الهراء.

(٢) الأسماء والصفات ص ٤٢٩.

(٣) الفقه الأبسط ص٥٦.

مَعَكُمْ ...﴾ [الحديد: ٤] قال: هو كما تكتب لرجل إني معك وأنت غائب عنه)[١].

(٢٠) وقال: قد كان متكلماً ولم يكن كلم موسى عليه السلام)[٢].

(٢١) وقال: (ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل)[٣].

(٢٢) وقال: (ويتكلم لا ككلامنا)[٤].

(٢٣) وقال: (وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كَلَّم موسى عليه السلام)[٥].

(٢٤) وقال: (والقرآن كلام الله، في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى

---

(١) الأسماء والصفات (٢/ ١٧٠).

(٢) الفقه الأكبر ص٣٠٢.

(٣) الفقه الأكبر ص٣٠١.

(٤) الفقه الأكبر ص٣٠٢.

(٥) الفقه الأكبر ص٣٠٢.

النبي ﷺ، أنزل)[1].

(٢٥) وقال: (والقرآن غير مخلوق)[2].

الخلاصة:

١- كره الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى التوسل بالألفاظ التي لم يرد بها نص صحيح.

٢- أثبت الإمام أبو حنيفة لله تعالى، كل الأسماء والصفات الحسنى، الثابتة له سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه، مع تنزيهه عز وجل عن المشابهة لخلقه أو مشابهة خلقه له.

٣- ذهب أبو حنيفة رحمه الله، إلى تكفير منكر صفة العلو لله تعالى.

٤- يؤمن الإمام أبو حنيفة بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق.

٥- ورد ذكر أقسام التوحيد الثلاثة في كلام أبي حنيفة

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠١.

(٢) الفقه الأكبر ص٣٠١.

رحمه الله تعالى، وهي: توحيد الألوهية ـ الربوبية ـ الأسماء والصفات.

تنبيه:

اعلم أخي المسلم: أنك قد عرفت من خلال نصوص الإمام أبي حنيفة أنه يثبت جميع صفات الله تعالى بلا تمثيل وينزه الله تعالى بلا تعطيل، فيثبت لله تعالى صفة العلو ويؤمن بأن هذا القرآن العربي كلام الله تعالى على الحقيقة وأن موسى عليه الصلاة والسلام قد سمع كلام الله تعالى على الحقيقة، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا بلا كيف، وأن الوجه واليدين من صفاته تعالى، وأنه لا يجوز تأويل أية صفة من صفاته تعالى؛ فلا يقال: يده قدرته، ولا يقال: غضبه عقوبته، ولا يقال: رضاه ثوابه؛ لأن في هذا تعطيلاً لهذه الصفات وهذا من مذهب الجهمية.

وبعد هذه النصوص الواضحة لهذا الإمام كيف يجوز للماتريدية أن يتركوا عقيدة الإمام أبي حنيفة ويسايروا الجهمية فينكروا علو الله تعالى، ويقولوا بخلق القرآن وببدعة الكلام النفسي، ويعطلوا كثيراً من صفات الله تعالى ويحرفوا نصوصها؟!

المناقشة:

س١: ما هي أنواع التوسل الجائز؟ اذكر دليلاً واحداً لكل منها؟

س٢: ما موقف الإمام أبي حنيفة رحمه الله، من الألفاظ التي يتوسل بها الناس؟

س٣: تكلم بإيجاز عن عقيدة أبي حنيفة في الأسماء والصفات الإلهية؟

س٤: ما هي عقيدة أبي حنيفة رحمه الله، في القرآن؟

س٥: اذكر نصاً عن أبي حنيفة رحمه الله، يوضح حكمه فيمن نفى صفة العلو عن الله تعالى؟

س٦: ما المقصود بمصطلح: أهل السنة والجماعة؟ ومتى ظهر؟

س٧: ما هي أنواع التوحيد؟ وما موقف أبي حنيفة من هذه التقسيمات؟!

س٨: هل الماتريدية وافقوا عقيدة الإمام أبي حنيفة في الصفات أم خالفوه؟!؟.

س٩ : وإذا خالفوه؛ فبين المسائل الكبيرة التي خالفوا فيها الإمام أبا حنيفة.

* * *

المبحث الثاني

عقيدة الإمام أبي حنيفة

في القدر وإثبات مراتبه

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن للإيمان بالقدر أربع مراتب، لا يتم إلا بها كلها:

١- الإيمان بالعلم الإلهي السابق.

٢- الإيمان بالكتابة لكل كائن، وذلك أزلاً في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض.

٣- الإيمان بالإرادة الإلهية الشاملة لكل مخلوق، ولأفعال العباد وغيرها.

٤- الإيمان بالخلق: فكل شيء كائن وموجود، فالله تعالى هو الذي خلقه. وسيأتي في كلام الإمام رحمه الله، ما يشير إلى كل من هذه المراتب على حدة.

(١) جاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة يجادله في القدر فقال له: (أما علمت أن الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس كلما ازداد نظرًا ازداد تحيرًا)[١] .

ومقصوده رحمه الله بذلك هو التحذير من الخوض في المغيبات ومحاولة الفحص فيها، وليس مقصوده إثبات مراتب القدر السابق ذكرها.

(٢) يقول الإمام أبو حنيفة: (وكان الله تعالى عالمًا في الأزل بالأشياء قبل كونها)[٢] .

(٣) وقال: (يعلم الله تعالى المعدوم في حالة عدمه معدومًا، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودًا ويعلم كيف يكون فناؤه)[٣] .

(٤) يقول الإمام أبو حنيفة: (وقدره في اللوح المحفوظ)[٤] .

---

(١) قلائد عقود العقيان (ق ـ ٧٧ ـ ب) .

(٢) الفقه الأكبر ص٣٠٢، ٣٠٣ .

(٣) الفقه الأكبر ص٣٠٢، ٣٠٣ .

(٤) الفقه الأكبر ص٣٠٢ .

(٥) وقال: (ونقر بأن الله تعالى أمر القلم أن يكتب، فقال القلم: ماذا أكتب يا رب؟ فقال الله تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣])[١].

(٦) وقال الإمام أبو حنيفة: (ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته)[٢].

(٧) ويقول الإمام أبو حنيفة: (خلق الله الأشياء لا من شيء)[٣].

(٨) وقال: (وكان الله تعالى خالقًا قبل أن يخلق)[٤].

(٩) وقال: (ونقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقًا، فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة)[٥].

---

(١) الوصية مع شرحها ص٢١ .

(٢) الفقه الأكبر ص٣٠٢ .

(٣) الفقه الأكبر ص٣٠٢ .

(٤) الفقه الأكبر ص٣٠٤ .

(٥) الوصية مع شرحها ص١٤

(١٠) وقال: (جميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم والله تعالى خالقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره)[١].

(١١) قال الإمام أبو حنيفة: (وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خلقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته، وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته، لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره)[٢].

(١٢) وقال: (خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان[٣]، ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله، وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى ونصرته له)[٤].

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٣.

(٢) الفقه الأكبر ص٣٠٣.

(٣) الصواب: خلق الله تعالى الخلق على فطرة الإسلام، كما سيبينه أبو حنيفة في قوله الآتي.

(٤) الفقه الأكبر ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(١٣) وقال: (وأخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر، فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر، فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيمانًا فهم يولدون على تلك الفطرة، ومن كفر كفر بعد ذلك فقد بدّل وغيّر، ومن آمن وصدّق فقد ثبت عليه وداوم)[١] .

(١٤) وقال: (وهو الذي قدّر الأشياء وقضاها ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ)[٢] .

(١٥) وقال: (لم يجبر أحداً من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولكن خلقهم أشخاصاً والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم تعالى من يكفر في حال كفره كافراً، فإذا آمن بعد ذلك فإذا علِمه مؤمناً أحبه من غير أن يتغيّر علمه)[٣] .

* * *

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٢ .

(٢) الفقه الأكبر ص٣٠٢ .

(٣) الفقه الأكبر ص٣٠٣ .

المبحث الثالث

عقيدة الإمام أبي حنيفة

في الإيمان

لقد دلت دلائل الكتاب والسنة على أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد وينقص، وهذا ما ذهب إليه جماهير السلف رحمهم الله تعالى، ولكن هذه المسألة هي التي اختلف فيها أبو حنيفة رحمه الله، مع باقي السلف، حيث وردت عنه نصوص تخالف ذلك فمنها أنه :

(١) قال : (والإيمان هو الإقرار والتصديق)[١] .

(٢) وقال : (الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان، والإقرار وحده لا يكون إيمانًا)[٢] . ونقله الطحاوي عن أبي

---

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٤ .

(٢) كتاب الوصية مع شرحها ص٢ .

حنيفة وصاحبيه[١] .

(٣) وقال أبو حنيفة : (والإيمان لا يزيد ولا ينقص)[٢] .

قلت : «قوله في عدم زيادة الإيمان ونقصانه وقوله في مسمى الإيمان، وأنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وأن العمل خارج عن حقيقة الإيمان .

قوله هذا هو الفارق بين عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان، وبين عقيدة سائر أئمة الإسلام مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والبخاري وغيرهم، والحق معهم، وقول أبي حنيفة مجانب[٣] للصواب وهو مأجور في الحالين، وقد ذكر ابن عبد البر وابن أبي العزّ ما يشعر أن أبا حنيفة رجع عن قوله، والله أعلم[٤] .

الخلاصة :

١- يرى أبو حنيفة رحمه الله، أن الإيمان هو الإقرار والتصديق فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص .

---

(١) الطحاوية مع شرحها ص٣٦٠ .

(٢) كتاب الوصية مع شرحها ص٣ .

(٣) مجانب : مباعد ومفارق .

(٤) التمهيد لابن عبد البر ٩ / ٢٤٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٥ .

٢- يختلف جماهير السلف مع أبي حنيفة رحمه الله في هذا الباب .

المناقشة :

س١ ما قول أبي حنيفة رحمه الله في الإيمان؟

س٢ : هل يتفق قوله مع قول الأئمة الباقين أم لا ؟

* * *

المبحث الرابع

عقيدة الإمام أبي حنيفة

في الصحابة

حرص أهل العلم رحمهم الله، على ذكر القول في الصحابة ضمن أصولهم، وذلك لما أظهر أهل البدع والأهواء الطعن والقدح في أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم أو بعضهم، ومن أهل العلم هؤلاء أبو حنيفة رحمه الله، كما ترى في نصوصه الآتية:

(١) قال الإمام أبو حنيفة: (ولا نذكر أحداً من صحابة الرسول ﷺ إلا بخير)[١].

(٢) وقال: (ولا نتبرأ من أحد من أصحاب الرسول ﷺ، ولا نوالي أحداً دون أحد)[٢].

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٤.

(٢) الفقه الأبسط ص٤٠.

(٣) ويقول : (مقام أحدهم مع رسول الله ﷺ ، ساعة واحدة، خير من عمل أحدنا جميع عمره، وإن طال)[١] .

(٤) وقال : (ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ : أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضوان الله عليهم أجمعين)[٢] .

(٥) وقال : (أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم نكف عن جميع أصحاب رسول الله ﷺ إلا بذكر جميل)[٣] .

* * *

---

(١) مناقب أبي حنيفة للمكي ص٧٦ .

(٢) الوصية مع شرحها ص١٤ .

(٣) كما في النور اللامع (ق١١٩ ـ ب) عنه .

الخلاصة :

١- يرى الإمام أبو حنيفة : وجوب تولي جميع الصحابة ومحبتهم .

٢- يفضل أبو حنيفة الخلفاء الراشدين على باقي الصحابة ، وأفضليتهم حسب ترتيبهم في الخلافة .

٣- يرى أبو حنيفة : وجوب الكف عن الصحابة ، وعدم ذكرهم إلا بخير .

المناقشة :

س١ : ما موقف أبي حنيفة رحمه الله من الصحابة؟

س٢ : من أفضل الصحابة عند الإمام أبي حنيفة؟

* * *

المبحث الخامس

نهيه عن الأهواء والخصومات

والابتداع في الدين[1]

نهى أبو حنيفة رحمه الله تعالى، عن مجالسة أهل الكلام، وأهل الأهواء، والاستماع إليهم، ونهى عن الاشتغال بعلم الكلام لما له من الضرر، وكثر نهيه عن ذلك، ووردت عنه في ذم الكلام وأهله آثار كثيرة، كما سيرى القارئ فيما يلي:

(١) قال الإمام أبو حنيفة: (أصحاب الأهواء في البصرة كثير، ودخلتها عشرين مرة ونَيِّفًا، وربما أقمت بها سنة أو أكثر أو أقل، ظانًّا أن عِلمْ الكلام أجلُّ العلوم)[2].

---

(١) أهل الأهواء: هم الذين اتبعوا أهواءهم من تلك الفرق الضالة في أبواب الصفات والقدر والإيمان وغيرها، والابتداع: الإحداث في الدين بغير ما أذن به الله وشرعه أو بغير أصل ثابت في شريعة الله تعالى.

(٢) مناقب أبي حنيفة للكردي ص١٣٧ .

(٢) وقال: (كنت أنظر في الكلام حتى بلغت مبلغًا يشار إِليّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد ابن أبي سليمان فجاءتني امرأة فقالت: رجل له امرأة أمة، أراد أن يطلقها للسنة، كم يطلقها؟

فلم أدرِ ما أقول فأمرتها أن تسأل حمادًا، ثم ترجع فتخبرني، فسألتْ حمادًا فقال: يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين، فإِذا اغتسلت فقد حلّت للأزواج، فرجعت فأخبرتني فقلت: لا حاجة لي في الكلام وأخذت نعلي فجلست إِلى حماد)[١].

(٣) وقال: (لعن الله عمرو بنَ عبيد فإِنه فتح للناس الطريق إِلى الكلام فيما لا ينفعهم في الكلام)[٢].

وسأله رجل وقال: (ما تقول فيما أحدثه الناس في الكلام في الأعراض والأجسام، فقال: (مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريق السلف، وإِيّاك وكل محدثة فإِنها بدعة)[٣].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٣.

(٢) ذم الكلام للهروي ص٢٨ ـ ٣١. ولعنه رحمه الله لعمرو بن عبيد للدلالة على خطورة بدعته التي فتح بابها، وإِلا فإِنه لا يجوز لعن المسلم المعيَّن.

(٣) ذم الكلام للهروي (١٩٤ / ب).

(٤) قال حماد بن أبي حنيفة : (دخل عليّ أبي - رحمه الله - يوماً وعندي جماعة من أصحاب الكلام ونحن نتناظر في باب، قد علت أصواتنا فلما سمعت حسَّه في الدار خرجت إليه فقال لي : يا حماد من عندك؟ قلت : فلان وفلان وفلان، سمَّيتُ من كان عندي، قال : وفيم أنتم؟ . . قلت : في باب كذا وكذا، فقال لي : يا حماد دعِ الكلامَ - قال : ولم أعهد أبي صاحبَ تخليط، ولا ممن يأمر بالشيء ثم ينهي عنه . فقلت له : يا أبتِ ألستَ كنتَ تأمرني به، قال : بلى يا بني وأنا اليوم أنهاك عنه، قلت : ولِمَ ذاك، فقال : يا بني إن هؤلاء المختلفين في أبواب من الكلام ممن ترى، كانوا على قول واحد ودين واحد حتى نزغ الشيطان بينهم فألقى بينهم العداوة والاختلاف فتباينوا)[١] .

(٥) وقال أبو حنيفة لأبي يوسف : (إيّاك أن تكلم العامة في أصول الدين من الكلام، فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك)[٢] .

قلت : هذه طائفة من أقواله - رحمه الله - وما يعتقده في مسائل أصول الدين وموقفه من الكلام والمتكلمين .

---

(١) مناقب أبي حنيفة للمكي ص١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) مناقب أبي حنيفة للمكي ص٣٧٣ .

الخلاصة:

١- كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى، ينهى عن علم الكلام وعن الجدل والخصومات في مسائل أصول الدين.

٢- شدَّد رحمه الله على أهل الكلام لما فتحوه من أبواب الشر حتى إنه لعن عمرو بن عبيد.

المناقشة:

س١: ما هو موقف أبي حنيفة رحمه الله من الكلام والمتكلمين؟

س٢: من هم أهل الأهواء؟ وما المقصود بالابتداع في الدين؟

س٣: ما السر في لعن أبي حنيفة رحمه الله لعمرو بن عبيد؟

* * *

المبحث السادس

نهيه عن الشرك ووسائله

لقد حرص الإسلام أشد الحرص على حماية جناب التوحيد الخالص لله تعالى، وعلى سدّ جميع منافذ الشرك بالله، والقضاء عليها، ولما كان الغلو في الصالحين من أهل القبور هو أول ذريعة من ذرائع الشرك وأقدمها، وذلك كما حدث في قوم نوح عليه السلام، حيث كان بدء الشرك بالله تعالى عن طريق الغلو في الصالحين، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، لهذا حرص الإسلام على إغلاق هذه الأبواب.

وهكذا اشتد علماء أهل السنة رحمهم الله تعالى في الإنكار على المغالين في أهل القبور وجدّوا في حماية جناب التوحيد، ومنهم أبو حنيفة رحمه الله تعالى، كما سنرى في النقول عنه، وعن أصحابه وأتباعه في هذا الباب.

أولاً - وسائل الشرك

جاء عن الإمام أبي حنيفة وأتباعه النهيُ عما هو من وسائل الشرك، كتجصيص القبور، والبناء عليها[1]، وتعليتها[2]، والكتابة عليها[3]،

(١) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ، عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف أبي حنيفة - رحمه الله - وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع: بدائع الصنائع (١/ ٣٢٠)، تحفة الفقهاء (٢/ ٢٥٦)، المتانة ص (٢٠١)، وفتح الملهم (٢/ ١٢١، ١٢٢)، معارف السنن (٣/ ٣٠٥، ٣٠٧)، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص (٣٣٥)، حاشية رد المحتار لابن عابدين (٢/ ٢٣٧)، الفتاوي الهندية (١/ ١٩٤) البحر الرائق (٢/ ١٩٤)، المبسوط (٢/ ٦٢)، حاشية مراقي الفلاح (ص٤٠٥) والإبداع ١٩٧ وزيارة القبور ص ٢٩.

(٢) لما ورد عند مسلم وغيره عن علي - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ، بعثه وأمره ألا يدع قبراً مشرفًا إلا سواه.
وللاستزادة في معرفة موقف أئمة الحنفية من ذلك راجع تبيين الحقائق للزيلعي (١/ ٢٦٤) فتح الملهم (٢/ ٥٠٦) وروح المعاني (١٥/ ٢٣٧) وفتح القدير (٢/ ١٤١).

(٣) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي: «نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» وللتعرف على موقف الحنفية راجع: بدائع الصنائع (١/ ٣٢٠) وتحفة الفقهاء (٢/ ٢٥٦) وتبيين الحقائق (١/ ٢٦٤) وحاشية مراقي الفلاح ومراقي الفلاح (٤٠٥) والإبداع ص ١٩٧.

واتخاذها مساجد[1]، وإسراجها[2]، واستقبالها للصلاة والدعاء[3]، واتخاذها أعياداً[4]، وشد الرحال إليها[5].

---

(١) قال النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا متفق عليه، وقال: «ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» أخرجه مسلم وغيره وراجع لمعرفة موقف الحنفية: تبيين الحقائق (١/ ٢٦٤) وروح المعاني (١٥/ ٢٣٧) والمرقاة في شرح المشكاة (٢/ ٢٢) والكواكب الدراري (١/ ٣١٦، ٣١٧) زيارة القبور للبرعوي ص٢٩. والمجالس الأربعة ص ١٣.

(٢) في الحديث: «لعن رسول الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الكواكب الدراري (١/ ٣١٧) والإبداع ص١٨٩ زيارة القبور ص٢٩ والمجالس الأربعة ص١٣.

(٣) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ، قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها» وقد كره أبو حنيفة استقبال قبر النبي، ﷺ، وقت الدعاء، وانظر: التوسل والوسيلة (ص٢٩٣) وروح المعاني (٦/ ١٢٥) ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/ ٣١٣).

(٤) خرج أبو داود مرفوعاً: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الإبداع ص١٨٥.

(٥) وخرج أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ،: «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجدالحرام مسجدي هذا والمسجد الأقصى». وارجع لمعرفة قول الحنفية في النهي عن شد الرحال إلى غير هذه المساجد الثلاثة إلى كتاب حجة الله البالغة ١/ ١٩٢ - ١٩٣.

الخلاصة:

تكاثرت النصوص عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله وأتباعه، في النهي عن كل ما يفضي إلى الشرك، مما يتعلق بتعظيم القبور وأهلها والغلو فيها.

المناقشة:

س١ : وضح موقف أبي حنيفة رحمه الله من الغلو في القبور؟

س٢ : ما هو مذهب أبي حنيفة من استقبال قبر النبي ﷺ، عند الدعاء؟

س٣ : اذكر بعض مظاهر الغلو في الصالحين من أهل القبور المنتشرة في زماننا هذا؟

* * *

ثانيًا - نماذج من الشرك

حذر منها أبو حنيفة وبعض أتباعه

مما قد يكون مدعاة للاستغراب بعد أن بينا أن المشركين من العرب لم يشركوا في أمر الربوبية بل في أمر الألوهية، أقول: مما قد يستغرب القول بأن هناك الكثير من المظاهر لوجود شرك في الربوبية بين أفراد الأمة الإسلامية اليوم، غير أن هذا الاستغراب سوف يزول لا شك، إن وقف القارئ على بعض هذه المظاهر التي سوف يأتي ذكرها في هذا المبحث، وقد أطيل في بعض النقول لأهميتها.

وقال **محمد علاء الدين الحصكفي**[1] فيمن نذر لغير الله: «واعلم أن الذي يقع للأموات من أكثر العوام، وما يؤخذ من الدراهم للشمع والزيت ونحوهما إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربًا إليهم، هو بالإجماع باطل وحرام»[2].

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي مفتي الحنفية في دمشق، من تصانيفه الدر المختار في شرح تنوير الأبصار، وإفاضة الأنوار على أصول المنار توفي سنة ١٠٨٨هـ انظر خلاصة الأثر ٤ / ٦٣ - ٦٥ والأعلام ٦/ ٢٩٤.

(٢) الدر المختار مع رد المحتار ٢ / ٤٣٩.

* **قال ابن عابدين شارحًا هذا النص:**

«قوله: تقربًا، كأن يقول: يا سيدي فلان، إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب، أو الفضة، أو من الطعام، أو من الشمع والزيت كذا، قوله: «**باطل وحرام**» لوجوه منها:

أنه «نذر لمخلوق والنذر لا يجوز؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق، ومنها أنْ المنذور له ميت، والميت لا يملك..»[1].

* **وقال الألوسي واصفًا حال المستغيثين بغير الله**، وتعلقهم الشديد بالأموات حيث صرفوا لهم أنواعًا من الطاعات، كالنذر وغيره: وفي قوله ـ تعالى: : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا...**﴾ [الحج: ٧٣] إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله ـ تعالى ـ حيث يستغيثون بهم في الشدة ـ أي الأولياء ـ غافلين عن الله ـ تعالى. وينذرون لهم النذور، والعقلاء منهم يقولون إنهم وسائلنا إلى الله تعالى ـ وإنما ننذر لله ـ عز وجل ـ ونجعل ثوابه للولي، ولا يخفى أنهم

---

(١) رد المحتار على الدر المختار ٢/ ٤٤٩ ـ ٤٤٠.

في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أورد غائبهم أو نحو ذلك[1].

* **قال محمد بن يحيي بن محمد الكندهلوي الحنفي[2].**

«وأما اتخاذ المساجد عليها، فلما فيه من الشبه باليهود باتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم، ولما فيه من تعظيم الميت وشُبِّه بعبدة الأصنام».. وإما اتخاذ السرج عليها فمع ما فيه من إسراف في ماله المنهي عنه بقوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

ففيه تشبه باليهود، فإنهم كانوا يسرجون المصابيح على قبور كبرائهم، وتعظيم للقبور وانشغال بما لا يعنيه..»[3].

---

(١) روح المعاني ١٧/ ٢١٢ - ٢١٣

(٢) هو محمد يحيى بن محمد بن إسماعيل الكاندهلوي الحنفي كان أديبًا وعالمًا فاضلاً ذا ملكة علمية راسخة من مصنفاته الكواكب الدراري توفي سنة ١٣٣٤هـ. انظر مقدمة محقق المصنف لابن أبي شيبة ١/ ٢٧. العناقيد الغالية ص٤٧.

(٣) الكواكب الدراري (١/ ٣١٦، ٣١٧).

* وقال الألوسي الحنفي:

« ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين، من إشرافها وبنائها بالحجر والآجر، وتعليق القناديل عليها، والصلاة إليها، والطواف بها، واستلامها والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة إلى غير ذلك.. وكل ذلك محادة لله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ، وإبداع دين لم يأذن به الله ـ عز وجل ـ.. ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله ﷺ، في قبره عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل قبر على وجه الأرض. والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له، عليه الصلاة والسلام.

فتتبع ذاك وتأمل ما هنا وما هناك والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتولى هداك »[١]

* وقال الإمام وليُّ الله الدهلوي:

« وإذا كنت ـ أيها القارئ توقف بصحة ما يقال عن عقائد المشركين وأعمالهم، فانظر إلى المخرفين في هذا العصر، لا سيما من يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام، ما هي

---

(١) روح المعاني (١٥/ ٢٣٩، ٢٤٠).

تصوراتهم عن «**الولاية**»، فرغم أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في عصرنا هذا من المستحيلات، ويؤمون القبور والعتبات، وقد ابتلوا بأنواع من الشرك والبدع والخرافات، وتمكن منهم التحريف والتشبيه، وتغلغل في نفوسهم، حتى لم تبق بحكم ما جاء في الحديث الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم.. إلخ» بلية من البلايا ولا فتنة من الفتن إلا وطائفة من طوائف المسلمين ـ اسماً ـ تخوض فيها وتتعلق بها، عافانا الله ـ سبحانه ـ عن ذلك.

وبالجملة: فإن رحمة الله ـ تعالى ـ اقتضت بعثة سيد الأنبياء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في الجزيرة العربية، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، ومجادلة هذه الفرق الباطلة عن طريق القرآن العظيم، وقد كان الاستدلال في مجادلتهم بالمسلمات، التي هي من بقايا الملة الإبراهيمية، ليتحقق الإلزام ويقع الإفحام»[1] وقال في البدور البازغة: صدق رسول الله ﷺ، حيث قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال:

(١) الفوز الكبير ص٢٦ وانظر الطبعة القديمة ص٢٠.

فمن»[1].

ألا ترى أن مشركي مكة كانوا يذعنون بانصرام[2] سلسلة الوجود إلى الله، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ [لقمان: ٢٥] وما أغناهم ذلك عن الإشراك بالله - تعالى - وربما قرع سمعك فيبقى يسرد من الأخبار أن العلم سيرفع بين يدي القيامة فيتمارى رجلان، يقول أحدهما: إياك ستين ويقول الآخر: إياك سبعين، فيرفعان القضية إلى أعلمهم. فيقول: إياك تسعين وأقسم بالذي نفسي بيده إنه قد وقع في آيات أُخر، فلست أرى أحداً إلا وفيه الإشراك كما قال - عز وجل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] وكفّر الله - سبحانه وتعالى - مشركي مكة، لقولهم لرجل سخي كان يلتُّ السويق للحجاج، أنه نصب منصب الألوهية، فجعلوا يستعينون به عند الشدائد.

ولقد علّمنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأيمن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن إسرائيل (٦ / ٤٩٤)، (٣٤٥٦)، كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى ومسلم (٤ / ٢٠٥٤) ح (٢٦٦٩) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٢) انصرام: انتهاء.

التحيات، فيما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: سمعته يعني رسول الله ﷺ، يقرأ: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...**﴾ [التوبة: ٣١] قال: إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه»[١] . فقد علمنا أن الشرك ليس بمحصور في العبادة، بل يكون بهذا النحو ولعل رجلاً عريض القفا يقول: وكيف هذا؟ سمعنا رجلاً يقول بذلك فنقول له: اعلم أن التحريف ليس اعتياض لفظ مكان لفظ، كما وقف عليه مفهوم العامة، بل شأن التحريف أهول من ذلك ـ وأكثر أنواعه وجوداً أن يقلب اللفظ ظاهر مراده إلى هواه وهواجس نفسه، فقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام، إلى أنه سيوجد رجال يسمون الخمر بغير اسمها ويسمون الزنا بغير اسمه، ثم يقولون ما هذا حرم الله ـ تعالى ـ في كتابه فعليكم به لا بأس ـ ألست ترى أقوامًا يقولون: إن المسكر الذي يتخذ من العسل وما يماثله ليس بخمر ثم أحلوه، فأولئك الذين فيهم قال رسول الله ﷺ، ما قال:

---

(١) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة (٥/ ٢١٨) ح (٣٠٩٥) وابن جرير في (١٠/ ١١٤) والبيهقي في السنن (١٠/ ١١٦) جميعهم من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال الترمذي (حديث غريب).

وأقواماً يقولون إذا وطئ الرجل أمة ابنه فذلك حلال له، فأولئك قوم أُركسوا على وجوههم وغرتهم الأماني، فسوف يعلمون غداً من الكذاب الأشر، ألست ترى أقواماً يذعنون لأقوالهم ويجدون في صدورهم استحلال ما أحلوه، حتى إنهم كادوا يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله ـ تعالى ـ ألست تراهم إذا قيل لهم دعونا من أقوال الناس فهم قد يصيبون وقد يخطئون، وعليكم بالكتاب وبما حكاه الصادق المصدوق عليه السلام من أمر الله تعالى، قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1] [الزخرف: ٢٣] وخطأوا هذا الرأي، بل عسى أن يقتلوهم إن استطاعوا، فأولئك هم المشركون حقاً، ولقد اقشعر جلدي حين بلغني ما يسرد في الأساطير عن رجل اعترفوا له بالفضل أنه قال: لو تجلى الله ـ سبحانه ـ يوم القيامة على غير صورة فلان ما رأيته فقد حط بالله ـ سبحانه ـ درجته عن فلان فإن صدقت الرواية، فليس بمعذور عند الله تعالى»[2].

---

(١) في المطبوعة (لمقتدون).

(٢) البدور البازغة ص ١٦٧، ١٧٠.

* وقال الإمام إسماعيل الدهلوي في كتابه «تقوية الإيمان» الذي ترجمه إلى العربية أبو الحسن الندوي في رسالة التوحيد واللفظ له:

«استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس:

اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر، وأصبح التوحيد الخالص غريباً، ولكن معظم الناس لا يعرفون معنى الشرك، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في الشرك وتلوثوا به، فمن المهم قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد، ويعرفوا حكمهما في القرآن والحديث.

مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة:

ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستعينون بالمشايخ والأنبياء، والأئمة[١] والشهداء، والملائكة، والجنيات عند الشدائد، ويصرخون بأسمائها، ويسألون منها قضاء الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها، ويقربون لها قرابين

---

(١) يعني أئمة أهل البيت الذين غلت فيهم الشيعة، وأحاطوهم بهالات من التقديس والتعظيم ويعتقدون فيهم العصمة، والاطلاع على الغيب، ويفسرون الإمامة تفسيراً يجعلها مشاركة للنبوة، بل منافسة لها في كثير من الخصائص، وقد تأثر أهل السنة بكثير من العقائد الشيعية في الهند بتأثير الحكام والأمراء، وحكم الاختلاط بهم، والجهل بالإسلام قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

لتسعفهم بحاجاتهم، وتقضي مآربهم[1]، وقد ينسبون إليها أبناءهم طمعًا في رد البلاء، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي وبعضهم بعلي بخش، وحسين بخش، وبير بخش، ومدار بخش[2]، وسالار بخش[3] ولا بأس بما نقوله في الأنبياء من الحب والتقدير، أما إذا عدلناهم بالله، واعتقدنا أنهم واللهَ - جل وعلا - بمنزلة سواء، كان ذلك شركًا، لا شك فيه، ولكننا لا نقول بذلك، بل نعتقد بالعكس، أنهم خلق الله وعبيده، أما ما نعتقده فيهم من القدرة والتصرف في العالم،

---

(١) مآربهم: حاجاتهم.

(٢) هو الشيخ الكبير المعمر بديع الدين المدار الحلبي المكنبوري، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند، ينسبون إليه من الوقائع الغريبة ما يأباه العقل والنقل، وإليه نسب شهر من شهور السنة في التقويم المنتشر عند العامة وأهل القرى في الهند ودخل اسمه في الأمثال السائرة عند عوام الناس، وهو مؤسس الطريقة المدارية التي انحرفت في العهد الأخير، ودخل فيها الشيء الكثير من الخرافات والرياضيات البهلوانية، كانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة ٨٤٤هـ. قاله أبو الحسن الندوي.

(٣) هو السيد سالار مسعود الغازي من أشهر الأعلام في الهند نسجت حوله أساطير كثيرة، وشخصيته لم يسلط عليها الضوء الكافي علميًّا وتاريخيًّا، ذكره ابن بطوطة في رحلته، وقال: إنه فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبار عجيبة وغزوات شهيرة، مات شهيداً سنة ٥٨٨ هـ، ودفن في مدينة بهرائج في الولاية الشمالية في الهند، قال في «نزهة الخواطر»: بنى على قبره ملوك الهند عمارة سامية البناء، والناس يفدون إليه من بلاد شاسعة، ويزعمون أنه كان عزبًا شابًا لم يتزوج، فيزوجونه كل سنة، ويحتفلون لعرسه وينذرون له أعلامًا فينصبونها على قبره قاله أبو الحسن الندوي.

(فهمًا)[1] مما أكرمهم الله وخصهم به، فلا يتصرفون في العالم إلا بإذن منه ورضاه، فما كان نداؤنا لهم، واستعانتنا بهم إلا نداء لله واستعانة به، ولهم عند الله دالة ومكانة ليست لغيرهم، قد أطلق أيديهم في ملكه، وحكمهم في خلقه، يفعلون ما يشاؤون، وينقضون ويبرمون، وهم شفعاؤنا عند الله، ووكلاؤنا عنده، فمن حظى عندهم، ووقع عندهم بمكان، كانت له حظوة ومنزلة عند الله، وكلما اشتدت معرفته بهم، اشتدت معرفته بالله، إلى غير ذلك من التأويلات الكاسدة، والحجج الداحضة، التي ما أنزل الله بها من سلطان[2].

والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله وحديث رسوله وراءهم، وسمحوا لعقولهم القاصرة أن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه، وتشبثوا بالأساطير والروايات الشائعة التي لا تستند إلى تاريخ ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية،

(١) هكذا في الأصل لعل الصواب (فهو).

(٢) كلامه هذا بطوله يبدو فيه التناقض والاضطراب، فمرة يقول نعتقد أنهم خلق الله وعبيده، ومرة يرى أنهم أكرمهم الله تعالى بنوع من القدرة والتصرف، وأن نداءهم نداء لله، والتقرب إليهم تقرب إلى الله ثم يعود فيقول إن هذا الكلام من التأويلات الكاسدة والحجج الداحضة، وذلك دون أن يمهد بالانتقال من فقرة إلى أخرى، ودون وجود ما يشعر بأن هذا الكلام عنه أو عن غيره، فالله المستعان.

وعادات جاهلية، وإن كانوا عولوا على كلام الله ورسوله وعنوا بتحقيقه، لعرفوا أنها نفس التأويلات، والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي ﷺ ويحاجونه [1] بها، ولم يقبلها الله منهم، بل كذبهم فيها فقال في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] وقد علمنا من هذه الآية أنه لا يوجد في سماء ولا أرض من يشفع لأحد، وتنفع شفاعته من استشفع به، وما شفاعة الأنبياء إلا بإذن ربهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فإذا ناداهم أحد، أو صرخ باسمهم، أو لم ينادهم ولم يصرخ باسمهم، فلا يتحقق إلا ما يريده الله وما يأمر به.

حقيقة شرك أهل الجاهلية وضلالهم:

وكذلك تبين أن الكفار الذين كانوا في عصر النبي ﷺ لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله، ويرونهم مع الله بمنزلة سواء، بل كانوا يقرون بأنهم مخلوقون لله، ولم يكونوا يعتقدون أبداً

---

(١) يحاجونه: يجادلونه.

أن آلهتهم لا يقلون عن الله قدرة وقوة، وهم والله في كفة واحدة فما كان كفرهم وشركهم إلا نداءهم لآلهتهم، والنذور التي كانوا ينذرونها لهم، والقرابين التي كانوا يقربونها بأسمائهم، واتخاذهم لهم شفعاء ووكلاء؛ فمن عامل أحداً بما عامل به الكفار آلهتهم، وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد، كان هو وأبو جهل في الشرك بمنزلة سواء.

خلال الشرك وأعماله:

فاعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله، ويساوي بينهما، بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، أن يأتي بها لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركاً، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان، أو الملك، أو الجني الذي يسجد له أو يذبح، أو ينذر له، أو يستغيث به، أقل من الله شأناً، وأصغر منه مكاناً، وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجن والشياطين، والعفاريت، والجنيات فمن عاملها هذه المعاملة

كان مشركًا، لذلك وصف الله اليهود والنصارى، الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم، مثلما غلا المشركون في آلهتهم بما وصف به عباد الأوثان والمشركين، وغضب على هؤلاء، الغلاة المنحرفين، كما غضب على غلاة المشركين، فقال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد ذكر أن جميع الخلق سواءً كانوا علماء أو عبادًا، حكامًا أو ملوكًا، كلهم عبيد خاضعون، عاجزون ضعفاء، لا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا يملكون إذا بعثهم الله، وطلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين مستسلمين، طائعين منقادين، يقول الله ـ تعالى ـ في سورة مريم ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ – ٩٥]، فظهر أنه هو المتصرف وحده، وأنه لا يملّك أحداً غيره ولا يُمَكِّنه فيه، وأن الناس يأتون ربهم فرادى لا يمنع أحد آخر، وقد تضافرت الآيات على ذلك وكثرت.

ومن تأمل في آيتين أو ثلاث من الآيات الكثيرة التي سردناها، وغيرها من الآيات التي لم يتسع المجال لذكرها،

عرف الفرق بين الشرك والتوحيد، وتجلت له حقيقتهما، وقد آن الأوان لأن نذكر الخلال والأعمال التي خصصها الله بذاته العلية، ولم يأذن لغيره أن يكون له نصيب منها، وهي كثيرة يطول ذكرها، ولكن لا بد أن نخص بالذكر منها ما يستطيع القارئ، الفَهِم الذكي أن يقيس عليها، ويميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

العلم المحيط الشامل من خصائص الله تعالى:

وفي مقدمة هذه الأمور، أنه من شأن الله وحده أن يكون حاضراً وناظرًا في كل مكان، يعلم ما دَقَّ وجَلَّ، وبَعُدَ أو دَنَا، أو خَفِيَ أوْ ظَهَرَ، لا تخفى عليه خافية في أي وقت، لا فرق في ذلك بين نور وظلمة، وبين سماوات وأراضين، وبين قمم الجبال، وأغوار البحار، هذا العلم المحيط الشامل لكل زمان ومكان، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، صفة خاصة بالله - تعالى - لا يشاركه فيها أحد، فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق، ويناديه قائماً وقاعداً، وعن قرب وبعد، ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء، ودفع الأعداء، ويختم ختمة باسمه، أو يراقبه ويركز فكره عليه، ويصرف همته إليه، متمثلاً صورته كأنه يشاهده، ويعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب، أو تمثل صورته، أو قبره،

واستحضرهما، علم بذلك وعرفه، وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء، وأنه مطلع على ما ينتابه من مرض وصحة، وعسر ويسر، وموت وحياة وحزن وسرور، ولا يتفوه بشيء من كلام، وتنطق به شفتاه، ولا يساوره هم من الهموم، ولا يجول بخاطره معنى، إلا وعلم ذلك، واطلع عليه، كان بذلك مشركًا، وكل ذلك يدخل في الشرك.

ويسمى هذا النوع «**الإشراك في العلم**» وهو إثبات صفة العلم المحيط لغير الله، وإن كان هذا الإثبات لنبي أو ولي، أو شيخ أو شهيد، أو إمام[1] أو سليل إمام، أو عفريت أو جنية، سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته، أو يعلم أنه منحة من الله، وعطاء منه، وقد استقل بهذا العلم، وأصبح له صفة لا تنفك عنه كل ذلك شرك.

* * *

(١) يعني أئمة أهل البيت، قاله معرب الكتاب: الشيخ أبو الحسن الندوي.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعدُ:

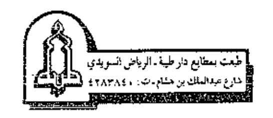
فهذا ما تيسَّر لي من جمع ما ورد في عقيدة الإمام أبي حنيفة رحمه الله وشرحها، وأسأل الله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارِكَ علىٰ نبينا محمد.

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميِّس

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحـة


طبعت بمطابع دار طيبة - الرياض - السويدي
شارع عبدالملك بن هشام - ت: ٤٢٨٣٨٤٠